الخليج الغنيّة؟ أم ان هذا الاسلوب الاميركي هو حركة في كل الاتجاهات لانجاز ما هو قابل للانجاز، وترك العثرات ليفتتها عامل الزمن والضغط المباشر وغير المباشر، وذلك بعزلها وحصارها واحراج واضعي تلك العثرات؟

مشكلات الشرق الأوسط

ظلت قضية فلسطين، حتى فترة قريبة، المشكلة الرئيسة في منطقة الشرق الاوسط. لكن هذا الاعتبار كان مقصوراً على أبنائها العرب دعاة المشروع العروبي الوحدوي بشعاريه الوحدة وتحرير فلسطين، والذي لم يرتق ليصبح مشروعاً لعموم المنطقة العربية، خاصة ان الدعاة اليه عجزوا عن ترجمته عملياً بعد وصولهم الى السلطة (عبدالناصر وحزب البعث العربي الاشتراكي في كل من سوريا والعراق). فقد وضح، داخل المنطقة العربية، وفي جوارها، وجود مشكلات متنوّعة تمس، في مجموعها، ما يمكن اطلاق صفة «الأمن» عليه بوجهيه الداخلي والخارجي. فالحالة اللبنانية يمكن اعتبارها نموذجاً لمشكلات الأمن الداخلي، بمعنى قابلية تفكّك الاقطار العربية طائفياً، أو اثنياً؛ كما يمكن اعتبار الحالة الايرانية نموذجاً آخر لتهديد الجوار؛ وهو تهديد له أبعاده داخل الأقطار العربية لطابعه الايديولوجي ـ الديني. فهو امتداد للهوية الدينية ـ السياسية التي تعتنقها الحركات الدينية في منطقة الشرق الاوسط؛ وهو، أيضاً، قابل للتشغيل. وقد قامت الحرب العراقية ـ الايرانية لاحتواء مثل هذا التهديد. هذا عدا مشكلات الأقطار العربية فيما بينها بين دول فقيرة وغنية، وهو ما يطرح مشكلة التنمية في المنطقة، والتعاون على تحقيقها.

اضافة الى ما تقدّم، هناك مسألة استمرار تدفّق النفط من هذه المنطقة الى دول العالم الصناعية في اوروبا وأميركا واليابان وغيرها من دول العالم التي يشلّ حياتها توقف نفط منطقة الشرق الاوسط عنها. وتستطيع أي دولة عربية، أو غير عربية، تقع على خطوط نقل النفط عرقلة مساره أو وقفه ولو الى حين؛ وهي مشكلة «أمنية» عالمية.

من هنا، فإن مسألة «الأمن» تتخذ أبعاداً سياسية واقتصادية وعسكرية في منطقة الشرق الاوسط؛ كما تكتسب وجهاً داخلياً في كل قطر عربي، واقليمياً فيما بين دول المنطقة، وعالمياً فيما بين المنطقة والعالم؛ وهذه الوجوه متداخلة ومترابطة بحيث ان الخلل في أحدها سينعكس سلباً على الوجوه الأخرى لـ «الأمن».

وفي حين كان دعاة النهضة الحديثة من أبناء المنطقة وأحزابها السياسية يرون ان أمن هذه المنطقة يوفّره لها أبناؤها ببلورة مشروع استقلالهم (بالمعنى الشمولي للكلمة)، كان الغرب، بصفته العنصر المهيمن كونياً، يرى ان وصايته على هذه المنطقة هي الضمان لأمن العالم. وهكذا حصلت فرنسا وبريطانيا، الدولتان المنتصرتان في نهاية الحرب العالمية الاولى، على حق الانتداب على هذه المنطقة لضمان «أمن العالم». وحين انحسر نفوذهما بعد الحرب العالمية الثانية، وحلت محلهما، على رأس العالم الغربي، الولايات المتحدة الاميركية، طرحت الاخيرة مبدأ «ملء الفراغ» في هذه المنطقة، وأيضاً لضمان «أمن العالم». ولم يدخل في اعتبار الغرب الأمن الداخلي لهذه المنطقة، إلّا بعد ان بدأت الصراعات الداخلية فيه تكتسب طابعاً اقليمياً مع المدّ الناصري الذي شهدته أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من هذا القرن، وبروز ملامح دور عالمي لهذه المنطقة بعد تأسيس حركة عدم الانحياز التي كان ناصر أحد مؤسسيها. وكان، وما زال، خلاف بين أبناء المنطقة وحكوماتها وبين الغرب حول مسألة «أمن المنطقة» ومن يتولاه؟ فالغرب اعتبرها مسؤوليته المباشرة، وعرض